الانتصار لحزب الله الموحدين

والرد على المجادل عن المشركين

تأليف
العلامة مفتي الديار النجدية في القرن الماضي
الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين
المتوفى سنة ١٢٨٢

الناشر
مكتبة ابن الجوزي

الانتصار

لحزب الله الموحدين

والرد على المجادل عن المشركين

الانتصار

لِحزب الله المُوحِّدين

والرّدّ على المجادِل عن المشركين

تأليف

العلّامة مُفتي الدّيار النّجديّة في القرن الماضي

الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين

المتوفى سنة ١٢٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ﷺ تسليما كثيرا.

أما بعد فقد قال الله تعالى ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾. فلما أعلمنا سبحانه أنه إنما خلقنا لعبادته وجب علينا الاعتناء بما خلقنا له علماً وعملاً، وقال تعالى: ﴿**يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا**﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: كل ما في القرآن من الأمر بالعبادة فالمراد به التوحيد، وبذلك أمر الله جميع الرسل، قال تعالى: ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**﴾ وقال تعالى: ﴿**واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون**﴾ وكل رسول أول ما يقرع به أسماع قومه أن يقول: اعبدوا الله مالكم من إله غيره، وقال تعالى:

الطبعة الأولى
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

الناشر
مكتبة ابن الجوزي
المملكة العربية السعودية
الاحساء: هاتف ٥٨٢٤٦٧٢ - ص.ب: ١٦٨٧
الدمام:

﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ قال مالك وغير واحد من المفسرين: كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت. وقال عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهما: الطاغوت الشيطان. قال ابن كثير رحمه الله: وهو قول قوي جدا، فإنه يتناول كل ما كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان والتحاكم إليها والاستنصار بها، ذكره على قوله **﴿فمن يكفر بالطاغوت﴾** الآية. قال النووي: قال الليث وأبو عبيدة والكسائي وجماهير أهل اللغة: الطاغوت كل ما عبد من دون الله. وقال الجوهري: الطاغوت الشيطان، وكل رأس في الضلالة. انتهى. وماتضمنته هذه الآيات ونحوها من آي القرآن من الأمر بعبادة الله وحده لاشريك له والنهي عن عبادة غيره هو معنى لا إله إلا الله. قال ابن جرير في الكلام على معنى لفظ الجلالة قال: وروى لنا عن ابن عباس قال: أي هو ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين. وقال الجوهري في الصحاح أله بالفتح إلاهة أي عبد عبادة. قال: ومنه قولنا «الله» وأصله إلاه على وزن فعال بمعنى مفعول، لأنه مألوه بمعنى معبود. قال: والتأليه التعبيد، التأله التنسك والتعبد، قال رؤبة:

سبحن واسترجعن من تألُّهي

وقال في القاموس أله إلاهة وألوهة وألوهية: عبد عبادة، ومنه لفظ الجلالة، قال: وأصله إلاه بمعنى مألوه، وكل ما اتخذ معبودا فهو إله عند متخذه، قال: والتأله التنسك والتعبد. وفي المصباح: أله من باب تعب إله بمعنى عبد عبادة، وتأله تعبد، والإله المعبود وهو الله سبحانه وتعالى، استعاره المشركون لما عبدوه من دون الله. انتهى. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الإله هو المعبود المطاع، فهو إلاه بمعنى مألوه. وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: الإله هو الذي تأله القلوب محبة وإجلالا وإنابة وإكراماً وتعظيما وخوفاً ورجاء وتوكلاً. وقال ابن رجب رحمه الله: الإله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالا ومحبة وخوفا ورجاء وتوكلا عليه وسؤالا منه ودعاء له، ولا يصلح ذلك إلا لله، فمن أشرك مخلوقا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في لا إله إلا الله ونقصاً في توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك، وهذا كله من فروع الشرك. وقال ابن هبيرة في الإفصاح: قوله شهادة أن لا إله إلا الله تقتضي أن يكون الشاهد عالماً بأن لا إله إلا الله، قال تعالى: ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله**﴾. وينبغي أن يكون الناطق بها شاهدا فيها، فقد قال تعالى ما أوضح به أن الشاهد بالحق إذا لم يكن عالما بما شهد

به فإنه غير بالغ من الصدق به مع من شهد لك بما يعلمه في قوله تعالى ﴿**إلا من شهد بالحق وهم يعلمون**﴾ قال: واسم الله مرتفع بعد إلا من حيث أنه الواجب له الإلهية فلا يستحقها غيره سبحانه. قال: واقتضى الإقرار بها أن تعلم أن كل ما فيه أمارة للحدث فإنه لا يكون إلهاً، فإذا قلت لا إله إلا الله اشتمل نطقك هذا على أن ما سوى الله ليس بإله، فيلزمك إفراده سبحانه بذلك وحده. قال: وجملة الفائدة في ذلك أن تعلم أن هذه الكلمة هي مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، فإنك لما نفيت الإلهية وأثبت الإيجاب لله كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله. انتهى. وقال أبو عبدالله القرطبي في تفسيره: لا إله إلا هو أي لا معبود إلا هو، وقال الزمخشري: الإله من أسماء الأجناس كالرجل والفرس يقع على كل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بحق. وقال البقاعي: لا إله إلا الله أي انتفى انتفاء أن يكون معبودا بحق غير الملك الأعظم، فإن هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة، وإنما يكون علماً إذا كان نافعاً، وإنما يكون نافعاً إذا كان مع الإذعان والعمل بما تقتضيه، وإلا فهو جهل صرف. انتهى. وجميع المفسرين يفسرون الإله بالمعبود، والمشركون يعرفون ذلك لأنهم أهل اللسان، فلما طلب منهم النبي ﷺ أن يقولوا:

«لا إله إلا الله» قالوا: ﴿**أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب**﴾ وهم يعترفون بأن الله هوالخالق الرازق المدبر لجميع الأمور رب كل شيء ومليكه، كما أخبر الله عنهم بذلك في مواضع كثيرة من كتابه، والله سبحانه فرض على عباده معرفة معنى «لا إله إلا الله» وأن يعلموا أن لا إله إلا هو، قال تعالى: ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله**﴾ وترجم البخاري على الآية فقال: باب العلم قبل القول والعمل، إشارة إلى أن العلم بمعنى لا إله إلا الله أول واجب، ثم بعد ذلك القول والعمل. وقال الله تعالى: ﴿**هـذا بلاغ للنـاس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد**﴾ وقال تعالى: ﴿**فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو**﴾. أي واعلموا أن لا إله إلا هو. وقال تعالى ﴿**ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون**﴾قال المفسرون: إلا من شهد بلا إله إلا الله وهم يعلمون بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم. وقد قال ﷺ «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة» واستدل العلماء بهذه الآيات ونحوها على أن أول واجب على الإنسان معرفة الله، ودلت هذه الآيات على أن آكـد الفرائض العلم بمعنى لا إله إلا الله، وأن أعظم الجهل نقص العلم بمعناها إذ كان معرفة معناها آكد الواجبات، فالجهل

بذلك أعظم الجهل وأقبحه.

ومن العجب أن بعض الناس إذا سمع من يتكلم في معنى هذه الكلمة نفياً واثباتا عاب ذلك: وقال: لسنا مكلفين بالناس والقول فيهم. فيقال له: يل أنت مكلف بمعرفة التوحيد الذي خلق الله الجن والإنس لأجله، وأرسل جميع الرسل يدعون إليه، ومعرفة ضده وهو الشرك الذي لايغفر ولا عذر لمكلف في الجهل بذلك، ولا يجوز فيه التقليد لأنه أصل الأصول. فمن لم يعرف المعروف وينكر المنكر فهو هالك، لاسيما أعظم المعروف وهو التوحيد وأكبر المنكرات وهو الشرك. قال رجل لعبدالله بن مسعود رضي الله عنه: هلكت إن لم آمر بالمعروف وأنه عن المنكر، فقال ابن مسعود هلكت إن لم يعرف قلبك المعروف وينكر المنكر. وبمعرفة التوحيد يعرف أهله كما قال علي رضي الله عنه إعرف الحق تعرف أهله.

وأما الإقرار بتوحديد الربوبية، وهو أن الله سبحانه خالق كل شيء ومليكه ومدبره، فهذا يُقرُّ بِهِ المسلم والكافر ولا بد منه، لكن لايصير الإنسان به مسلما حتى يأتي بتوحيد الإلهية الذي دعت إليه الرسل، وأبى عن الإقرار به المشركون، وبه يتميز المسلم من المشرك وأهل الجنة من أهل النار. وقد أخبر سبحانه في مواضع من كتابه عن

المشركين أنهم يقرون بتوحيد الربوبية، ويحتج عليهم سبحانه بإقرارهم بتوحيد الربوبية على إشراكهم في توحيد الإلهية، قال سبحانه ﴿**قل من يرزقكم من السماء والأرض، أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر، فسيقولون الله**﴾ الآية، قال البكري الشافعي في تفسيره على هذه الآية: إذا قلت إذا أقروا بذلك فكيف عبدوا الأصنام؟ قلت: كلهم كانوا يعتقدون بعبادتهم الأصنام عبادة الله والتقرب إليه، لكن في طرق مختلفة: ففرقة قالت: ليس لنا أهلية عبادة الله بلا واسطة لعظمته فعبدناها لتقربنا إليه زلفى. وفرقة قالت: الملائكة ذوو وجاهة عند الله اتخذناها أصناماً على هيئة الملائكة لتقربنا إلى الله زلفى، وقالت: جعلنا الأصنام قبلة لنا في العبادة كما أن الكعبة قبلة في عبادته. وفرقة اعتقدت أن لكل صنم شيطاناً موكلا بأمر الله، فمن عبد الصنم حق عبادته قضى الشيطان حوائجه بأمر الله، وإلا أصابه شيطانه بنكبة بأمر الله. وقال ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿**والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾ إنما يحملهم على عبادتهم أنهم عبدوا الأصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم، فعبدوا تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة

ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمر الدنيا. قال قتادة والسدي ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد ﴿ **ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾ أي ليشفعوا لنا ويقربونا عنده ﴿**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم - ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون**﴾ وقال تعالى: ﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون**﴾ قال ابن عباس وغيره: إذا سألتم من خلق السموات والأرض قالوا الله وهم يعبدون معه غيره. ففسروا الإيمان في هذه الآية بإقرارهم بتوحيد الربوبية، والشرك بعبادتهم غير الله وهو توحيد الألوهية.

فلما تقرر معنى الإله وأنه المعبود تعين علينا معرفة حقيقة العبادة وحدها، فعرفها بعضهم بأنها ما أمر به شرعاً من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي. وقال بعضهم: هي كمال الحب مع كمال الخضوع. وهذا يستلزم طاعة المحبوب والانقياد له. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة كالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء والذكر

وقراءة القرآن وأمثال ذلك من العبادة. فالدين كله داخل في العبادة، فإذا علم الإنسان وتحقق معنى الإله وأنه المعبود وعرف حقيقة العبادة تبين له أن من جعل شيئا من العبادة لغير الله فقد عبده واتخذه إلها وإن فر من تسميته معبوداً أو إلهاً وسمى ذلك توسلاً وتشفعاً والتجاء ونحو ذلك. فالمشرك مشرك شاء أم أبى، كما أن المرابي مراب شاء أم أبى وإن لم يسم ما فعله ربا، وشارب الخمر شارب للخمر وإن سماها بغير اسمها[1] وفي الحديث عن النبي ﷺ «يأتي

---

(١) قال شمس الدين بن القيم رحمه الله تعالى: ومن هذا لفظ الخمر، فإنه اسم شامل لكل مسكر، فلا يجوز إخراج بعض المسكرات منه. وينفي عنها حكمه، قال يحيى قال مالك: السنة عندنا أن من شرب مسكرا وإن لم يسكره أنه يجب عليه الحد، ذكره في الموطأ في الحدود. أهـ. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الإيمان: وكذلك من جحد شيئاً من المحرمات الظاهرة المتواترة تحريمها كالفواحش والظلم والكذب والخمر ونحوه ذلك فهو كافر. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فإن نصوص الكتاب والسنة اللذين هما دعوة محمد ﷺ تتناولان عموم الخلق بالعموم اللفظي والمعنوي، ودعوة الله في كتابه وسنة رسوله تتناول آخر هذه الأمة كما تناولت أولها أهـ. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «أول ما يكفأ الإسلام كما يكفأ الإناء يعني الخمر. قيل: فكيف يارسول الله وقد بين الله فيها ما بين. قال يسمونها بغير اسمها فيستحلونها» قوله يسمونها بغير اسمها أي يسمونها حشيشة أو بنجاً أو أفيوناً أو تنباكاً، وكل ما أسكر من كل شيء فهو الخمر ولكن يقولون ليست بخمر لأن الخمر ما يتخذ من الأنواع المذكورة. وهذا باطل لأن الخمر ما خامر العقل أي ستره كما تقدم تفسيره عن عمر. والله أعلم. انتهى من هامش الأصل.

ناس من أمتي يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها» فتغيير الاسم لا يغير حقيقة المسمى ولا يزيل حكمه كتسمية البوادي سوالفهم الباطلة حقا وتسمية الظلمة وما يأخذونه من الناس بغير اسمه. ولما سمع عدي بن حاتم وهو نصراني قول الله تعالى: ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله**﴾ قال للنبي ﷺ: لسنا نعبدهم. فقال «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه» قال قلت بلى، قال «فتلك عبادتهم» فعدي رضي الله عنه ما كان يحسب أن موافقتهم فيما ذكر عبادة منهم فأخبر ﷺ أن ذلك عبادة منهم لهم مع أنهم لايعتقدونه عبادة لهم، وكذلك ما يفعله عباد القبور من دعاء أصحابها وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات والتقرب إليهم بالذبائح والنذور عبادة منهم للمقبورين وإن كانوا لايسمونه ولا يعتقدونه عبادة. وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ: اجعل لنا ذات أنواط، ما كانوا يظنون أن قولهم اجعل لنا ذات أنواط كقول بني إسرائيل اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، ولم يظنوا أن هذا من التأله لغير الله الذي تنفيه لا إله إلا الله لأنهم يقولون لا إله إلا الله ويعرفون معناها لأنهم العرب، لكن خفيت عليهم هذه المسألة لحداثة عهدهم بالكفر حتى قال النبي ﷺ «الله أكبر، إنها السنن. قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو

إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون. لتركبن سنن من كان قبلكم» فإن قيل: فإن النبي ﷺ لم يكفرهم بذلك قلنا: هذا يدل على أنه من تكلم بكلمة كفر جاهلا بمعناها ثم نبه فتنبه أنه لايكفر، ولا شك أن هؤلاء لو اتخذوا ذات أنواط بعد إنكار النبي ﷺ لكفروا. وقال الله تعالى: ﴿**وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون. إلا الذي فطرني فإنه سيهدين. وجعلها كلمة باقية في عقبه**﴾ الآية، الضمير في قوله ﴿**جعلها**﴾ راجع لقوله ﴿**إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني**﴾ قال مجاهد وقتادة: هي شهادة أن لا إله إلا الله، فلا يزال في ذرية إبراهيم من يعبد الله وحده. ففي الآية والحديثين قبلها بيان لمعنى لا إله إلا الله وأن المراد منها البراءة من التأله والعبادة لغير الله وإفراده سبحانه بالعبادة.

ومن أعظم المصائب إعراض أكثر الناس عن النظر في معنى هذه الكلمة العظيمة حتى صار كثير منهم يقول: من قال لا إله إلا الله ما نقول فيه شيئا وإن فعل ما فعل، لعدم معرفتهم بمعنى هذه الكلمة نفيا وإثباتاً. مع أن قائل ذلك لابد أن يتناقض، فلو قيل له: ماتقول فيمن قال لا إله إلا الله ولا يقر برسالة محمد بن عبدالله؟ لم يتوقف في كفره، أو أقر بالشهادتين وأنكر البعث لم

يتوقف في تكفيره، أو استحل الزنا واللواط ونحوهما أو قال إن الصلوات الخمس ليست بفرض أو أن صيام رمضان ليس بفرض فلابد أن يقول بكفر من قال ذلك، فكيف لا تنفعه لا إله إلا الله إذاً ولا تحول بينه وبين الكفر، فإذا ارتكب ماينـاقضها وهو عبادة غير الله وهو الشرك الأكبر الذي هو أكبر الذنوب قيل هو يقول لا إله إلا الله ولا يجوز تكفـيره لأنه يتكلم بكلمة التوحيد! لكن آفة الجهل والتقليد أوجبت ذلك، وهؤلاء ونحوهم إذا سمعوا من يقرر أمر التوحيد ويذكر الشرك استهزأوا به وعابوه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في أثناء كلام له: والضالون مستخفون بتوحيد الله، يعظمون دعاء غيره من الأموات، وإذا أمروا بالتوحيد ونهوا عن الشرك استخفوا به كما قال تعالى: ﴿**وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا، إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها**﴾ الآية. فاستهزأوا بالرسول ﷺ لما نهاهم عن الشرك، وما زال المشركـون يسبـون الأنبياء ويصفـونهم بالسفاهة والضلال والجنون إذا دعوهم إلى التوحيد لما في أنفسهم من تعظيم الشرك، وكذلك من فيهم شبه منهم إذا رأوا من يدعو إلى التوحيد استهزؤوا به لما عندهم من الشرك، ومن كيد الشيطان لمبتدعة هذه الأمة المشركين بالبشر من المقبورين وغيرهم، ولما علم عدو

الله أن كل من قرأ القرآن أو سمعه ينفر من الشرك ومن عبادة غير الله ألقى في قلوب الجهال أن هذا الذي يفعلونه مع المقبورين وغيرهم ليس عبادة لهم، وإنما هو توسل وتشفع بهم والتجاء إليهم ونحو ذلك، فسلب العبادة والشرك اسمهما من قلوبهم وكساها أسماء لا تنفر عنها القلوب، ثم ازداد اغترارهم وعظمت الفتنة بأن صار بعض من ينسب إلى علم ودين يسهل عليهم ما ارتكبوه من الشرك، ويحتج لهم بالحجج الباطلة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فصـــل

وقد أورد بعضهم أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ذكر كلاماً وحكايات تدل على أن دعاء الأموات ليس بشرك، كما ذكر أنه روى أن رجلاً جاء إلى قبر النبي ﷺ فشكى إليه الجدب عام الرمادة، فرآه وهو يأمره أن يأتي إلى عمر ابن الخطاب فيأمره أن يستسقي بالناس وغير ذلك من الحكايات. قال بعض المجادلين: ولو سلم لكم في بعض الأمر أنها شرك أو كفر فإن الشيخ ذكر في (اقتضاء الصراط المستقيم) أن المتأول والمجتهد المخطيء والمقلد مغفور لهم ما ارتكبوه من الشرك والكفر. فهذا تلبيس من الناقل وكذب على الشيخ رحمه الله، لأنه إنما قال ذلك في سياق الكلام في بعض البدع كتحري دعاء الله عند قبر النبي أو غيره فقال: وقد يفعل الرجل العمل الذي يعتقده صالحا ولا يكون عالما أنه منهي عنه، فيثاب على حسن قصده، ويعفى عنه لعدم علمه. وهذا باب واسع، وعامة العبادات المبتدعة المنهي عنها قد يفعلها بعض الناس ويحصل له نوع من الفائدة، وذلك لايدل

على أنها مشروعة. ثم العامل قد يكون متأولاً أو مخطئاً أو مجتهداً أو مقلداً فيغفر له خطؤه ويثاب على ما فعله من الخير المشروع المقرون بغير المشروع. قال: والحاصل أن ما يقع من الدعاء المشتمل على كراهية شرعية بمنزلة سائر العبادات. وقد علم أن العبادة المشتملة على وصف مكروه قد تغفر تلك الكراهة لصاحبها لاجتهاده أو تقليده أو حسناته أو غير ذلك، ثم ذلك لايمنع أن ذلك مكروه منهي عنه، وإن كان هذا الفاعل المعين قد زال موجب الكراهة في حقه. قال: فإذا سمعت دعاء أو مناجاة مكروهة في الشرع قد قضيت حاجة صاحبها فكثيرا ما يكون من هذا الباب. ولا يقال هؤلاء لما نقصت معرفتهم يسوغ لهم ذلك فإن الله لم يسوغ هذا لأحد، لكن قصور المعرفة قد يرجى معه العفو والمغفرة، أما استحباب المكروهات أو إباحة المحرمات فلا فرق بين العفو عن الفاعل والمغفرة له وبين إباحة فعله أو المحبة له، وإنما استحباب الأفعال واتخاذها ديناً بكتاب الله تعالى وسنة نبيه وما كان عليه السابقون الأولون وما سوى هذا من الأمور المحدثة فلا تستحب وإن اشتملت أحياناً على فوائد، لأنا نعلم أن مفاسدها راجحة على فوائدها.

ولما قرر رحمه الله تعالى أن تحري الدعاء عند القبور منهي عنه قال: ولا يدخل في هذا الباب أن قوما سمعوا

السلام من قبر النبي ﷺ أو قبور غيره من الصالحين، وأن سعيد بن المسيب كان يسمع الأذان من القبر ليالي الحرة فهذا كله حق ليس مما نحن فيه، والأمر أجل من ذلك وأعظم. قال: وكذلك أيضا ما يروى أن رجلا جاء إلى قبر النبي ﷺ وشكا إليه الجدب عام الرمادة فرآه وهو يأمره أن يأتي عمر فيأمره أن يخرج فيستسقي بالناس، فإن هذا ليس من هذا الباب. وكذلك سؤاله بعضهم للنبي ﷺ أو غيره حاجة فتقضى، فإن هذا قد وقع كثيرا وليس هو مما نحن فيه. إلى أن قال: وكل هذا لايقتضي استحباب الصلاة عند القبور ولا قصد الدعاء والنسك عندها، لما في قصد العبادات عندها من المفاسد التي علمها الشارع صلوات الله وسلامه عليه. ثم قال رحمه الله: فذكرت هذه الأمور لأنها مما يتوهم أنها معارضة لما قدمنا، وليس كذلك، فإن الخلق لم ينهو عن الصلاة عند القبور واتخاذها مساجد استهانة لأهلها، بل لمايخاف عليهم من الافتتان وإنما تكون الفتنة إذا انعقد سببها فلولا أنه قد يحصل عند القبور ما يخاف الافتتان به لما نهى الناس عن ذلك انتهى. فانظر قوله: وليس فيه معارضة لما ذكرنا، لأنه قرر أن قصد القبور لدعاء الله عندها بدعة منهى عنه، وكذلك قرر أن دعاء الأموات والغائبين والاستغاثة بهم شرك، وذكر أنه ليس في جميع ما ذكره

معارضة لما قرره دفعاً لما قد يتوهم.

واحتج بعض من يجادل عن المشركين بقصة الذي أوصى أهله أن يحرقوه بعد موته على أن من ارتكب الكفر جاهلا لايكفر، ولا يكفر إلا المعاند.

والجواب عن ذلك كله أن الله سبحانه وتعالى أرسل رسله مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وأعظم ما أرسلوا به ودعوا إليه عبادة الله وحده لاشريك له، والنهي عن الشرك الذي هو عبادة غيره، فإن كان مرتكب الشرك الأكبر معذوراً لجهله فمن هو الذي لايعذر؟ ولازم هذه الدعوى أنه ليس لله حجة على أحد إلا المعاند، مع أن صاحب هذه الدعوى لايمكنه طرد أصله، بل لابد أن يتناقض فإنه لايمكنه أن يتوقف في تكفير من شك في رسالة محمد ﷺ أو شك في البعث أو غير ذلك من أصول الدين، والشاك جاهل. والفقهاء رحمهم الله يذكرون في كتب الفقه حكم المرتد وأنه المسلم الذي يكفر بعد إسلامه نطقاً أو فعلا أو اعتقادا أو شكاً. وسبب الشك الجهل، ولازم هذا لايكفر جهلة اليهود والنصارى ولا الذين يسجدون للشمس والقمر والأصنام لجهلهم، ولا الذين حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار لأننا نقطع أنهم جهال. وقد

أجمع العلماء رحمهم الله على كفر من لم يكفر اليهود والنصارى أو يشك في كفرهم، ونحن نتيقن أن أكثرهم جهال. وقال الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى: من سب الصحابة أو واحدا منهم واقترن بسببه دعوى أن عليا إله أو نبي أو أن جبريل غلط فلا شك في كفر هذا، بل لاشك في كفر من توقف في تكفيره. قال: ومن زعم أن الصحابة ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر أو أنهم فسقوا فلا ريب في كفر قائل ذلك، بل من شك في كفره فهو كافر. قال: ومن ظن أن قوله سبحانه وتعالى ﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه**﴾ بمعنى قدر وأن الله ما قدر شيئا إلا وقع وجعل عباد الأصنام ماعبدوا إلا الله فإن هذا من أعظم الناس كفراً بالكتب كلها. انتهى. ولا ريب أن أهل هذه المقالة أهل علم وزهد وعبادة، وأن سبب دعواهم هذه الجهل، وقد أخبر الله سبحانه عن الكفار أنهم في شك مما تدعوهم إليه الرسل، وأنهم في شك من البعث، فقالوا لرسلهم ﴿**وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب**﴾ وقال ﴿**وإنهم لفي شك منه مريب**﴾ وقال إخبارا عنهم ﴿**إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين**﴾ وقال عن الكفار ﴿**إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون**﴾ وقال تعالى ﴿**قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل**

سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ ووصفهم بغاية الجهل كما في قوله تعالى ﴿لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ وقد ذم الله المقلدين بقوله عنهم ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون﴾ الآيتين. ومع ذلك كفرهم سبحانه وتعالى. واستدل العلماء بهذه الآية ونحوها على أنه لايجوز التقليد في معرفة الله والرسالة. وحجة الله سبحانه قائمة على الناس بإرسال الرسل إليهم وإن لم يفهموا حجج الله وبيناته، قال الشيخ موفق الدين أبو محمد بن قدامة رحمه الله لماانجر كلامه في مسألة هل كل مجتهد مصيب ورجح قول الجمهور: إنه ليس كل مجتهد مصيباً، بل الحق في قول واحد من أقوال المجتهدين. قال: وزعم الجاحظ أن مخالف ملة الإسلام إذا نظر فعجز عن إدراك الحق فهو معذور غير آثم، إلى أن قال: أما ما ذهب إليه الجاحظ فباطل يقينا وكفر بالله ورد عليه وعلى رسوله، فإنا نعلم قطعاً أن النبي ﷺ أمر اليهود والنصارى بالإسلام واتباعه، وذمهم على إصرارهم وقاتلهم جميعا بقتل البالغ منهم. ونعلم أن المعاند العارف ممن يقل، وإنما الأكثر مقلدة اعتقدوا دين آبائهم تقليدا ولم يعرفوا معجزات الرسول وصدقه،

والآيات الدالات في القرآن على هذا كثيرة كقوله ﴿**ذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار**﴾ وقال ﴿**وذلك ظنكم الذي ظننتم بربكم فأصبحتم من الخاسرين - إن هم إلا يظنون**﴾ وقوله ﴿**ويحسبون أنهم على شيء - ويحسبون أنهم مهتدون الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه**﴾ الآية.

وفي الجملة ذم المكذبين للرسول مما لا ينحصر في الكتاب والسنة انتهى. والعلماء يذكرون أن من أنكر وجوب عبادة من العبادات الخمس أو قال في واحدة إنها سنة لا واجبة أو جحد حل الخبز ونحوه أو جحد تحريم الخمر أو نحوه(٢) أو شك في ذلك ومثله لا يجهله كفر،

---

(٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «من شرب الخمر لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه فإن عاد الرابعة لم يقبل الله له صلاة أربعين يوما فإن تاب لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال» وقال «ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الخز والحرير والخمر والمعازف» وفي الحديث: «إن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها» وما مس اللباس منه فهو نجس لا تصح الصلاة فيه وثمنه حرام لأن الله إذا حرم شيئا حرم ثمنه كما في الموطأ من حديث كيسان في الخمر إنها حرمت وحرم ثمنها. أهـ. وقال الإمام محمد بن أحمد الشافعي لما ذكر تعريف الحرام وما نص أو أجمع على تحريمه بعينه كالمسكر، إلى أن قال: والمنكر ضد المعروف وهو ترك واجب وفعل محرم ←

وإن كان مثله يجهله عرف ذلك فإن أصر بعد التعريف كفر وقتل، ولم يقولوا فإذا تبين له الحق وعاند كفر. وأيضا فنحن لانعرف أنه معاند حتى يقول أنا أعلم أن ذلك حق ولا ألتزمه أو لا أقوله، وهذا لايكاد يوجد. وقد ذكر العلماء من أهل كل مذهب أشياء كثيرة لايمكن حصرها من الأقوال والأفعال والاعتقادات أنه يكفر صاحبها، ولم يقيدوا ذلك بالمعاند، فالمدعي أن مرتكب الكفر متأولا أو مجتهدا أو مخطئاً أو مقلداً أو جاهلاً معذور، مخالف للكتاب والسنة والإجماع بلا شك مع أنه لابد أن ينقض أصله فلو طرد أصله كفر بلا ريب كما لو توقف في تكفير من شك في رسالة محمد ﷺ، وأما الرجل الذي أوصى أهله أن يحرقوه وأن الله غفر له مع شكه في صفة من صفات الرب سبحانه فإنما غفر له لعدم بلوغ الرسالة له كذا قال غير واحد من العلماء. ولهذا قال الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى: من شك في صفة من صفات الرب ومثله

← بالدليل، والنهي عنه واجب على ترتيب الشرع واستحسانه بالقلب والرضا به انتهى. وقال زين الدين بن رجب في شرح حديث «فمن ترك الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه». ويستدل بهذا الحديث من يذهب إلى سد الذرايع إلى المحرمات وتحريم الوسائل. ويدل على ذلك أيضاً من قواعد الشريعة تحريم قليل ما يسكر كثيره. انتهى من هامش الأصل.

لايجهلها كفر، وإن كان مثله يجهلها لم يكفر. قال: ولهذا لم يكفر النبي ﷺ الرجل الشاك في قدرة الله تعالى لأنه لا يكون إلا بعد بلوغ الرسالة، وكذا قال ابن عقيل وحمله على أنه لم تبلغه الدعوة. واختيار الشيخ تقي الدين في الصفات أنه لايكفر الجاهل، وأما في الشرك ونحوه فلا كما ستقف على بعض كلامه إن شاء الله تعالى. وقد قدمنا بعض كلامه في الاتحادية وغيرهم وتكفيره من شك في كفرهم، قال صاحب اختياراته: والمرتد من أشرك بالله وكان مبغضاً لرسوله أو لما جاء به أو ترك إنكار كل منكر بقلبه أو توهم أن من الصحابة من قاتل مع الكفار أو أجاز ذلك أو أنكر إجماعاً مجمعاً عليه إجماعاً قطعياً أو جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر إجماعاً. ومن شك في صفة من صفات الله ومثله لايجهلها فمرتد، وإن كان مثله يجهلها فليس بمرتد، ولهذا لم يكفر النبي ﷺ الرجل الشاك في قدرة الله تعالى، فأطلق فيما تقدم من المكفرات. وفرق في الصفة بين الجاهل وغيره، مع أن رأي الشيخ رحمه الله في التوقف عن تكفير الجهمية ونحوهم خلاف نصوص الإمام أحمد وغيره من أئمة الإسلام. قال المجد رحمه الله تعالى: كل بدعة كفرنا فيها الداعية فإنا نفسق المقلد فيها كمن يقول بخلق القرآن أو أن علم الله مخلوق أو أن أسماءه مخلوقة

أو أنه لايرى في الآخرة أو يسب الصحابة تديناً أو أن الإيمان مجرد الاعتقاد وما أشبه ذلك، فمن كان عالماً بشيء من هذه البدع يدعو إليه ويناظر عليه فهو محكوم بكفره، نص أحمد على ذلك في مواضع انتهى. فانظروا كيف حكموا بكفرهم مع جهلهم.

فصـــل

ومما يتعين الاعتناء به معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله، لأن الله سبحانه ذم من لايعرف حدود ما أنزل الله على رسوله فقال تعالى: ﴿**الأعراب أشد كفرا ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله**﴾ قال شيخ الإسلام رحمه الله: ومعرفة حدود الأسماء واجبة لأن بها قيام مصلحة الآدميين في المنطق الذي جعله الله رحمة لهم، لاسيما حدود ما أنزل الله على رسوله من الأسماء كالخمر والربا(٣)، فهذه الحدود هي المميزة بين ما

---

(٣) قال شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية قدس الله روحه: والحشيشة المصنوعة من ورق العنب حرام وهي خمر يجلد صاحبها كما يجلد شارب الخمر من أنها جهة تفسد العقل والمزاج حتى يصير بالرجل تخنث ودياثة وغير ذلك من المفاسد. ولما كانت جامدة مطعومة ليست شراباً تنازع الناس في نجاستها على ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره: فقيل هي نجسة كالخمرة المشروبة، وهذا هو الاعتبار الصحيح. وقيل لا، لجمودها. وقيل يفرق بين مائعها وجامدها. قال: وبكل حال فهي داخلة فيما حرم الله ورسوله من الخمر والمسكر لفظاً ومعنى الأحاديث في هذا الباب كثيرة مستفيضة، جمع رسول الله ﷺ بما أوتيه ←

يدخل في المسمى وما يدل عليه من الصفات وبين ما ليس كذلك، وقد ذم الله سبحانه من لم يعلم حدود ما أنزل الله على رسوله انتهى. ففرض على المكلف معرفة حد العبادة وحقيقتها التي خلقها الله من أجلها، ومعرفة حد الشرك وحقيقته الذي هو أكبر الكبائر، وتجد كثيرا ممن يشتغل بالعلم لايعرف حقيقة الشرك الأكبر وإن قال إنه الشرك في العبادة، لقول الله تعالى ﴿**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا**﴾، ﴿**ولا يشرك بعبادة ربه أحداً**﴾، وقوله ﷺ «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا» فإنه لايعرف حد العبادة وحقيقتها، وربما قال: العبادة التي صرفها لغير الله شرك الصلاة والسجود، مع اعترافه بأن الشرك الذي حرم الله هو الشرك في العبادة فإذا طلب منه الدليل على أن الله سمى الصلاة لغيره أو السجود لغيره شركا لم يجده، وربما قال: لأن ذلك خضوع والخضوع لغير الله شرك، فيقال له: تجد في الكتاب أو

← من جوامع الكلم كل ما غطى العقل وأسكر لم يفرق بين نوع ونوع. ولا تأثير لكونه مشروباً أو مأكولاً. وهذه الحشيشة تراق في الماء وتشرب والخمر يؤكل ويشرب والحشيشة تؤكل وتشرب وكل ذلك حرام ولم يتكلم المتقدمون في خصوصها لأنها إنما حدث أكلها من قرب أواخر المائة السادسة أو قريباً من ذلك، كما أنه حدثت أشربة مسكرة بعد النبي ﷺ وكلها داخلة في الكلم الجوامع من الكتاب والسنة. انتهى كلام شيخ الإسلام من هامش الأصل.

السنة تسمية هذا الخضوع شركاً؟ فلا يجده. فيلزمه أن يقول لأنه عبادة لغير الله، فيقال وكذلك الدعاء والذبح والنذر عبادات، مع ما يلزم هذه العبادات من أعمال القلوب من الذل والخضوع والحب والتعظيم والتوكل والخوف والرجاء وغير ذلك. وفي الحديث «الدعاء مخ العبادة» وقد قرن الله سبحانه بين الصلاة والذبح في قوله تعالى ﴿**فصل لربك وانحر**﴾ أي أخلص له صلاتك وذبيحتك، فكما أن الصلاة لغير الله شرك فكذا قرين الصلاة وهو الذبح لغير الله شرك، وقال تعالى ﴿**قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين**﴾.

ومن العجب قول بعض من يحتج للمشركين بالأموات: إنهم لايرجون قضاء حاجاتهم من الميت ونحوه.

فنقول: هذا مكابرة ومغالطة، لأنه من المعلوم عند كل ذي عقل أنهم ما دعوهم وتذللوا وخضعوا لهم وبذلوا أموالهم لهم بالنذر والذبائح إلا لأنهم يرجون حصول مطلوبهم وقضاء حاجاتهم من جهتهم، فكيف يتصور عند عاقل أن يسمع من يسأل الميت أو الغائب حاجة بأن يقول أعطني كذا وأنا في حسبك، ويستغيث به في دفع

عدو أو كشف ضر ويتذلل ويخضع له ثم يقول: إنه لايرجو حصول مطلوبه ودفع مرهوبه من جهته، وكيف يتصور أن يبذل ماله بالنذر والذبح مع أن المال عزيز عند أهله لمن لايرجوه ويعتقد أنه لايحصل له من جهته نفع ولا دفع ضر، فهذا من أبين المحال وأبطل الباطل، كيف وهم يفتخرون بقضاء حاجاتهم وكشف كرباتهم من جهتهم، فبعض منهم يعتقدون أن الميت ونحوه يفعل ذلك أصالة، وبعضهم يقول: هم وسيلتنا إلى الله، يعنون واسطة بينهم وبين الله كما عليه المشركون الأولون كما أخبر الله عنهم أنهم يقولون: ﴿**هؤلاء شفعاؤنا عند الله ـ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾ بل كثير من مبتدعة هذه الأمة أعظم غلواً واعتقاداً في ولائجهم من المشركين الأولين، لأن الله سبحانه أخبر عن المشركين الموجودين حين نزول القرآن أنهم يخلصون لله الدعاء في حالة الشدة وينسون آلهتهم، وكثير من غلاة أهل هذا الزمان يخلصون الدعاء عند الأمور المهمة والشدائد لولائجهم كما هو مستفيض عنهم، قال تعالى اخبارا عن المشركين ﴿**فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين، فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون**﴾ وقال تعالى: ﴿**قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين، بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه**

إن شاء وتنسون ما تشركون﴾ وقال تعالى: ﴿**وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه**﴾ وقال تعالى: ﴿**قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين**﴾.

ومن العجب قول بعض من ينسب إلى علم ودين إن طلبهم من المقبورين والغائبين ليس دعاء لهم بل هو نداء، أفلا يستحي هذا القائل من الله إذا لم يستح من الناس من هذه الدعوى الفاسدة السمجة التي يروج بها على رعاع الناس، والله سبحانه وتعالى، قد سمى الدعاء نداء كما في قوله ﴿**إذ نادى ربه نداء خفياً**﴾ وقوله تعالى ﴿**فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**﴾، وأي فرق بين ما إذا سأل العبد ربه حاجة وبين ما إذا طلبها من غيره ميت أو غائب بأن الأول يسمى دعاء والثاني نداء؟ وما أسمج هذا القول وأقبحه، وهو قول يستحي من حكايته لولا أنه يروج على الجهال، لاسيما إذا سمعوه ممن يعتقدون علمه ودنيه. وأي فرق بين سؤال الميت حاجة وبين سؤالها من صنم ونحوه بأن الثاني يسمى دعاء والأول نداء؟ فإن قال الكل يسمى نداء لا دعاء فهذا مشاقة للقرآن ومحادة لله ورسوله، وما أظن عاقلاً يحيك هذا في نفسه، وإنما هو عناد ومكابرة،

إنما تروج على أشباه البهائم، أما يخاف هذا أن يتناوله قوله تعالى: ﴿**وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق**﴾ والله سبحانه وتعالى سمى سؤال غيره دعاء في غير موضع من كتابه﴿**إن تدعوهم لايسمعوا دعاءكم**﴾ والدعاء في القرآن يتناول دعاء العبادة ودعاء المسألة.

فصـــل

ويقال لمن ادعى أن الشرك هو الصلاة والسجود لغير الله فقط مع أن هذا مكابرة من مدعيه، فكما أن السجود عبادة فكذلك الدعاء والنذر والذبح وغيرهما كما تقدم تعريفه. وقد نهى الله عن دعاء غيره وذم فاعل ذلك وأمرنا بإخلاص الدعاء له أكثر مما ذكر في خصوصية السجود، مع أن الدعاء في القرآن يتناول دعاء المسألة ودعاء العبادة الذي يدخل فيه السجود وغيره من أنواع العبادة. قال الله تعالى: ﴿**وإن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا**﴾ وقال تعالى: ﴿**فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون**﴾ وقال تعالى: ﴿**له دعوة الحق**﴾ وقال تعالى: ﴿**ولا تدع من دون الله ما لاينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك من الظالمين**﴾ وقال تعالى: ﴿**ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون**﴾ وقال تعالى: ﴿**والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة**

يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير﴾ وفي القرآن مثل ذلك مالا يحصى. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في الكلام على دعوة ذي النون: لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول دعاء العبادة ودعاء المسألة. وفسر قوله تعالى: ﴿**ادعوني أستجب لكم**﴾ بالوجهين. وفي حديث النزول «من يدعوني فأستجيب له؟، من يسألني فأعطيه؟، من يستغفرني فأغفر له؟». والمستغفر سائل والسائل داع، لكن ذكر السائل لدفع الشر بعد السائل للخير، وذكرهما بعد الدعاء الذي يتناولهما وغيرهما من عطف الخاص على العام، وسماها دعوة لتضمنها النوعين، فقوله: ﴿**لا إله إلا أنت**﴾ اعتراف بتوحيد الإلهية، وهو يتضمن النوعين، فإن الإله هو المستحق لأن يدعى بالنوعين. وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في البدائع بعد آيات ذكرها قال: وهذا في القرآن كثير يبين أن المعبود لابد أن يكون مالكاً للنفع والضر، فهو يدعى للنفع والضر دعاء المسألة، ويدعى رجاء وخوفاً دعاء العبادة. فعلم أن النوعين متلازمان، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة، إلى أن قال: وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معنييه كليهما، ولا استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه، بل هذا استعمال له في حقيقته الواحدة المتضمنة للأمرين

جميعـاً. انتهى. فعلى هذا يكون النهي عن دعاء غيره سبحانه نصاً في دعاء العبادة وفي دعاء المسألة حقيقة، فهي نهي عن كل منهما حقيقة.

فصـــل

وقد ذكرنا أن الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى إنما قال ترجى المغفرة لمن فعل بعض البدع مجتهداً أو جاهلاً، لم يقل ذلك فيمن ارتكب الشرك الأكبر والكفر الظاهر، بل قد قال رحمه الله: إن الشرك لايغفر وإن كان أصغر، وقد قدمنا بعض كلامه في ذلك ونذكر هنا بعض ما اطلعنا عليه من كلامه وكلام غيره من العلماء. قال رحمه الله تعالى في شرح العمدة لما تكلم في كفر تارك الصلاة قال: وفي الحقيقة فكل رد لخبر الله أو أمره فهو كفر دق أو جل، لكن قد يعفى عما خفيت فيه طرق العلم وكان أمراً يسيراً في الفروع، بخلاف ما ظهر أمره وكان من دعائم الدين من الأخبار والأوامر.

وقال رحمه الله في أثناء كلام له في ذم أصحاب الكلام: والرازي من أعظم الناس في باب الحيرة، لكن هو مسرف فيه له نهمة في التشكيك، والشك في الباطل خير من الثبات على اعتقاده، لكن قل أن يثبت أحد على باطل محض، بل لابد فيه من نوع من الحق، وتوجد الردة

منهم كثيرا كالنفاق، وهذا إذا كان في المقالات الخفية، فقد يقال لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها، لكن يقع ذلك في طوائف منهم في ما يعلم العامة والخاصة بل اليهود والنصارى يعلمون أن محمداً ﷺ بعث بها وكفر من خالفها، مثل عبادة الله وحده لاشريك له، ونهيه عن عبادة غيره، فإن هذا أظهر شرائع الإسلام، ومثل أمره بالصلوات الخمس وتعظيم شأنها، ومثل معادات المشركين وأهل الكتاب، ومثل تحريم الفواحش والربا والميسر ونحو ذلك. إلى أن قال: وصنف الرازي كتابه في عبادة الأصنام والكواكب وأقام الأدلة على حسنه ورغب فيه، وهذه ردة عن الإسلام إجماعاً. انتهى. فقوله رحمه الله: بل اليهود والنصارى يعلمون ذلك هو كما قال، فقد سمعنا من غير واحد من اليهود أنهم يعيبون على المسلمين ما يفعل عند هذه المشاهد يقولون إن كان نبيكم أمركم بهذا فليس بنبي، وإن كان نهاكم عنه فقد عصيتموه. فيا سبحان الله ما أعجب هذا! اليهود ينكرون هذه الأمور الشركية ويقولون لا يأتي بها نبي، وكثير من علماء هذا الزمان يجوزون ذلك ويوردون الشبه الباطلة عليه وينكرون على من أنكره. وانظر قول الشيخ: لكن قد يعفى عما قد خفيت فيه طرق العلم وكان أمراً يسيراً في الفروع. وقوله

أيضاً: وهذا في المقالات الخفية، فقد يقال لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها.

وقال الشيخ رحمه الله في الرسالة السنية لما ذكر حديث الخوارج: فإذا كان في زمن النبي ﷺ وخلفائه من قد مرق من الدين مع عبادته العظيمة، فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام في هذا الزمان قد يمرق أيضاً، وذلك بأمور: منها الغلو الذي ذمه الله تعالى كالغلو في بعض المشايخ كالشيخ عدي، بل الغلو في علي بن أبي طالب بل الغلو في المسيح، فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الإلهية مثل أن يدعوه من دون الله بأن يقول: ياسيدي فلان أغثني أو اجبرني أو توكلت عليك أو أنا في حسبك، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قتل. فإن الله أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده ولا يجعل معه إله آخر، والذين يجعلون مع الله آلهة أخرى مثل الملائكة والمسيح وعزير والصالحين أو قبورهم لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق وترزق، وإنما كانوا يدعونهم يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، فبعث الله الرسل تنهى أن يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استعانة.

وقال أيضاً رحمه الله وقد سئل عن رجلين تنازعا

فقال أحدهما: لابد لنا من واسطة بيننا وبين الله، فإنا لا نقدر أن نصل إليه إلا بذلك.

فأجاب الشيخ رحمه الله بقوله: إن أراد أنه لابدلنا من واسطة تبلغنا أمر الله فهذا حق، فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه ويأمر به وينهى عنه إلا بواسطة الرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده، وهذا ما أجمع عليه أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى، فإنهم يثبتون الوسائط بين الله وبين عباده، وهم الرسل الذين بلغوا عن الله أوامره ونواهيه، قال تعالى: ﴿**الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس**﴾ ومن أنكر هذه الوسائط فهو كافر بإجماع أهل الملل. وإن أرادوا بالواسطة أنه لابد من واسطة يتخذها العباد بينهم وبين الله في جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يكونوا واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم، يسألون ذلك ويرجعون إليه فيه، فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار. إلى أن قال: فمن جعل الأنبياء والملائكة وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنوب وهداية القلوب وتفريج الكربات وسد الفاقات، فهو كافر بإجماع المسلمين. إلى أن قال: فمن أثبت وسائط بين الله وبين

خلقه كالحجاب الذين بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، وأن الله إنما يهدي عباده وينصرهم ويرزقهم بتوسطهم، بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم، والناس يسألونهم أدباً منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائل أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل. وهؤلاء مشبهون، شبهوا الخالق بالمخلوق، وجعلوا لله أنداداً، وفي القرآن من الرد على هؤلاء ما لاتتسع له هذه الفتوى، فإن هذا دين المشركين عباد الأوثان كانوا يقولون إنها تماثيل الأنبياء والصالحين، وإنها وسائل يتقربون بها إلى الله، وهو من الشرك الذي أنكره الله على النصارى حيث قال: ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم**﴾. انتهى، فقد جزم رحمه الله في مواضع كثيرة تكفر من فعل ما ذكره من أنواع الشرك، وحكى إجماع المسلمين على ذلك ولم يستثن الجاهل ونحوه، وقال تعالى: ﴿**إن الله لايغفر أن يشرك به**﴾، وقال عن المسيح أنه قال: ﴿**من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار**﴾ فمن خص ذلك الوعيد بالمعاند فقط وأخرج

الجاهل والمتأول والمقلد فقد شاق الله ورسوله وخرج عن سبيل المؤمنين. والفقهاء يصدرون باب حكم المرتد بمن أشرك بالله، ولم يقيدوا ذلك بالمعاند. وهذا أمر واضح ولله الحمد. وقال الله تعالى: **﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾**.

وقال الشيخ أيضاً: وهذه الأمور المبتدعة عند القبور أنواع أبعدها عن الشرائع أن يسأل الميت حاجة كما يفعله كثير من الناس، وهؤلاء من جنس عباد الأصنام، ولهذا يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت كمايتمثل لعباد الأصنام، ومن تقريره رحمه الله في هذا الأصل ما ذكره في (اقتضاء الصراط المستقيم) حيث قال: إن الدعاء المتضمن شركاً كدعاء غير الله أن يفعل أو دعائه أن يدعو ونحو ذلك ليحصل غرض صاحبه، ولا يورث حصول الغرض شبهة إلا في الأمور الحقيرة، وأما الأمور العظيمة كإنزال الغيث عند القحط وكشف العذاب النازل فلا ينفع في هذا الشرك، قال تعالى: **﴿قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين. بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ماتشركون﴾** وقال تعالى: **﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين﴾** وقال تعالى: **﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه﴾** وقال: **﴿أم من**

يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون﴾ الآيات. فكون هذه المطالب العظيمة لا يستجيب فيها إلا هو سبحانه دل على توحيده وقطع شبهة من أشرك به، وعلم بذلك أن ما دون هذا أيضاً من الإجابات إنما فعلها هو سبحانه وحـده لاشريك له وإن كانت تجري بأسباب محرمة أو مباحة، كما أن خلقه السموات والأرض والسحاب والرياح وغير ذلك من الأجسام العظيمة دال على وحدانيته وأنه خالق كل شيء وأن ما دون هذا بأن يكون خلقاً له أولى، إذ هو منفعل عن مخلوقاته العظيمة، فخالق السبب التام خالق للمسبب لا محالة.

وجماع ذلك أن الشرك نوعان: شرك في ربوبيته بأن يجعل لغيره معه تدبير ما كما قال تعالى: **﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير﴾** فتبين أنهم لايملكون ذرة استقلالا، ولا يشركونه في شيء من ذلك، ولا يعينونه على ملكه. فمن لم يكن مالكاً ولا شريكاً ولا عوناً فقد انقطعت علاقته، وشرك في الألوهية بأن يدعى غيره دعاء عبادة أو دعاء مسألة كما قال تعالى: **﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾** فكما أن إثبات المخلوقات أسباباً لا يقدح في توحيد الربوبية ولا يمنع أن

يكون الله خالق كل شيء ولا يوجب أن يدعى المخلوق دعاء عبادة أو دعاء استعانة، كذلك إثبات بعض الأفعال المحرمة من شرك أو غيره أسباباً لايقدح في توحيد الإلهية ولا يمنع أن يكون الله هو الذي يستحق الدين الخالص، ولا يوجب أن تستعمل الكلمات والأفعال التي فيها شرك إذا كان الله يسخط ذلك ويعاقب العبد عليه وتكون مضرة ذلك على العبد أكثر من منفعته، إذ قد جعل الخير كله في أنا لا نعبد إلا إياه ولا نستعين إلا إياه. وعامة آيات القرآن تثبت هذا الأصل، حتى أنه سبحانه قطع أثر الشفاعة بدون إذنه. فذكر رحمه الله آيات كثيرة في هذا المعنى، ثم قال: والقرآن عامته إنما هو في تقرير هذا الأصل العظيم الذي هو أصل الأصول. وقال رحمه الله في مواضع أخر: ونحن نعلم بالضرورة أن النبي ﷺ لم يشرع لأمته أن تدعو أحداً من الأحياء والأموات، لا الأنبياء ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة ولا بلفظ الاستعانة ولا بغيرهما، كما لايشرع السجود لميت ولا إلى ميت ونحو ذلك، بل نعلم أنه نهى عن ذلك كله وأنه من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم حتى يبين لهم ما جاء به الرسول. قال: ولهذا ما بينت هذه المسئلة لمن يعرف أصل الإسلام إلا تفطن لها وقال هذا أصل دين

الإسلام، وكان بعض أكابر الشيوخ العارفين من أصحابنا يقول: هذا أعظم ما بينته لنا، لعلمه بأن هذا أصل الدين. انتهى. فقوله رحمه الله: لم يمكن تكفيرهم حتى يبين لهم ما جاء به الرسول أي لم يمكن تكفيرهم بأشخاصهم وأعيانهم بأن يقال فلان كافر ونحوه، بل يقال هذا كفر ومن فعله كافر، أطلق رحمه الله الكفر على فاعل هذه الأمور ونحوها في مواضع لا تحصى، وحكى إجماع المسلمين على كفر فاعل هذه الأمور الشركية، وصرح بذلك رحمه الله في مواضع، كما قال في أثناء جواب له في الطائفة القلندرية، قل بعد كلام كثير: وأصل ذلك أن المقالة التي هي كفر في الكتاب والسنة والإجماع يقال هي كفر مطلق كما دل على ذلك الدليل الشرعي، فإن الإيمان والكفر من الأحكام المتلقاة عن الله ورسوله، ليس ذلك مما يحكم الناس فيه بظنونهم، ولا يجب أن يحكم في كل شخص قال ذلك بأنه كافر حتى تثبت في حقه شروط التكفير وتنتفي موانعه، مثل من قال: إن الزنا أو الخمر حلال لقرب عهده بالإسلام أو نشوئه ببادية بعيدة.

وقال رحمه الله في موضع آخر في أثناء كلام له على هذه المسألة: وحقيقة الأمر في ذلك أن القول يكون كفراً فيطلق القول بتكفير صاحبه ويقال: من قال كذا فهو

كافر، لكن الشخص المعين الذي قاله لايحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها. فهذا كما في نصوص الوعيد، فإن الله يقول: ﴿**إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً**﴾ الآية، فهذا ونحوه من نصوص الوعيد حق، لكن الشخص المعين لايشهد عليه بالوعيد، فلا يشهد لمعين من أهل القبلة بالنار لجواز ألا يلحقه الوعيد لفوات شرط أو ثبوت مانع، فقد لايكون بلغة التحريم، وقد يتوب من فعل المحرم، وقد يكون له حسنات عظيمة تمحو عقوبة ذلك المحرم، وقد يبتلى بمصائب تكفر عنه.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في شرح المنازل: ومن أنواعه - أي الشرك - طلب الحوائج من الموتى والاستعانة بهم والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لايملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلا عن أن يملكه لمن استغاث به أو سأله أن يشفع له. وقال في أثناء كلام له: فما أسرع أهل الشرك إلى اتخاذ الأوثان من دون الله ولو كانت ما كانت، ويقولون إن هذا الحجر وهذه العين تقبل النذر، أي تقبل العبادة من دون الله، فإن النذر عبادة وقربة يتقرب بها الناذر إلى المنذور له. وقال في الهدي في فوائد غزوة الطائف: ومنها أنه لايجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت

بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً، فإنها شعائر الكفر والشرك، وهي من أعظم المنكرات، فلا يجوز الإقرار عليها بعد القدرة البتة. وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثاناً وطواغيت تعبد من دون الله والأحجار التي تقصد بالتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل، فلايجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى بل أعظم شركاً عندها وبها والله المستعان.
ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تخلق وترزق وتحيي وتميت، وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم، فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة، وأخذوا مأخذهم شبرا بشبر وذراعاً بذراع، وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم، فصار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والسنة بدعة، والبدعة سنة، ونشأ في ذلك الصغير وهرم عليه الكبير، وطمست الأعلام واشتدت غربة الإسلام، وقل العلماء وغلبت السفهاء، وتفاقم الأمر واشتد البأس، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها

وهو خير الوارثين، انتهى. والأمر كما قال رحمه الله أن سبب حدوث الشرك وظهور الجهل خفاء العلم وقلة العلماء وغلبة السفهاء.

فيتبين لطالب الحق أن من جادل عن المشركين وسهل عليهم ما ارتكبوه من الشرك واحتج لهم بالحجج الباطلة أنه فاقد أصل العلم وأفرضه، فيستحق أن يوصف بالجهل وإن كان له اشتغال بأنواع من العلوم القليل نفعها، ففي هذا مصداق قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذَّة بالقذة» وما أحسن ما قال ابن المبارك رحمه الله تعالى:

وهل أفسد الدين إلا الملوك

وأحبار سوء ورهبانها

ويروي أن هلاك من كان قبلنا كان على أيدي قرائهم وفقهائهم فإنا لله وإنا إليه راجعون. قال ابن القيم رحمه الله: ومن ذبح للشيطان ودعاه واستعاذ به وتقرب إليه بما يحب فقد عبده وإن لم يسم ذلك عبادة ويسميه استخداماً وصدق، هو استخدام من الشيطان. وقال رحمه الله تعالى أيضا:

والشرك فاحذره فشرك ظاهر

ذا القسم ليس بقابل الغفران

وهو اتخاذ الند للرحمن أيا
كان من حجر ومن إنسان
يدعوه أو يرجوه ثم يخافه
ويحبه كمحبة الديان
والله ما ساووهم بالله في
خلق ولا رزق ولا إحسان
لكنهم ساووهم بالله في
حب وتعظيم وفي إيمان
جعلوا محبتهم مع الرحمن ما
جعلوا المحبة قط للرحمن

وقال شيخ الإسلام: وأما ما نذره لغير الله كالنذر للأصنام والشمس والقمر والقبور ونحو ذلك فهو بمنزلة أن يحلف بغير الله من المخلوقات، والحالف بالمخلوقات لا وفاء عليه ولا كفارة، وكذلك الناذر للمخلوق ليس عليه وفاء ولا كفارة لأن كليهما شرك والشرك ليس له حرمة، بل عليه أن يستغفر الله من العقد ويقول ما قال النبي ﷺ: «من حلف باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله» انتهى.

قوله: «فهو بمنزلة أن يحلف بغير الله» أي في عدم الانعقاد، ولأن النذر عبادة بخلاف الحلف.

وقال أيضا: قوله: ﴿وما أهلَّ لغير الله به﴾ ظاهره أنه ما ذبح لغير الله مثل أن يقول هذه ذبيحة لكذا، وإذا كان هذا هو المقصود فسواء لفظ به أو لم يلفظ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبح للحم وقيل فيه باسم المسيح ونحوه، لأن ما ذبحناه متقربين إلى الله كان أزكى وأعظم مما ذبحناه للحم وقلنا فيه بسم الله، فإن عبادة الله بالصلاة له والنسك أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور، فإذا حرم ما قيل فيه باسم المسيح أو الزهرة فلأن يحرم ماقيل فيه لأجل المسيح والزهرة وقصد به ذلك أولى، فإن العبادة لغير الله أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله، فعلى هذا فلو ذبح لغير الله متقرباً إليه لحرم وإن قال فيه باسم الله كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة الذين يتقربون إلى الكواكب بالذبح والنذور ونحو ذلك إن كان هؤلاء مرتدين لاتباح ذبيحتهم بحال، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان. ومن هذا الباب ما يفعله الجاهلون بمكة من الذبح للجن، قال: ولهذا كان عباد الشيطان والأصنام يذبحون لها الذبائح، فالذبح للمعبود غايته الذل والخضوع، ولهذا لم يجز الذبح لغير الله: وقال في موضع آخر: والمسلم إذا ذبح لغير الله أو ذبح بغير اسمه لم تبح ذبيحته وإن كان يكفر بذلك. إلى أنه قال: ولأن الذبح لغير الله وباسم غيره قد علم أنه ليس من دين الإسلام،

بل هو من الشرك الذي أحدثوه. قال: وقول الشيخ انذروا لي لتقضي حاجتكم أو استعينوا بي إن أصر ولم يتب قتل. وقال أبو محمد البربهاري شيخ الحنابلة في وقته في عقيدته: ولا نخرج أحداً من أهل القبلة عن الإسلام حتى يرد آية من كتاب الله أو يرد شيئا من آثار رسول الله ﷺ أو يصلي لغير الله أو يذبح لغير الله فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام، في كلام كثير ذكره انتهى. سمع البربهاري من المروذي وغيره.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: رأيت لأبي الوفاء ابن عقيل فصلا حسنا فذكرته بلفظه قال: لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم. قال: وهم عندي كفار بهذه الأوضاع، مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى عنه الشرع من إيقاد السرج وتقبيلها وتخليقها وخطاب أهلها بالحوائج وكتب الرقاع فيها: يا مولاي أفعل بي كذا وكذا، وأخذ تربتها تبركاً وإفاضة الطيب على القبور وشد الرحال إليها وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى. والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكف ولم يتمسح بالآجر يوم الأربعاء ولم يقل الحمالون على جنازته: أبو بكر

الصديق ومحمد وعلي ولم يعقد على قبر أبيه أزجاً بالجص والآجر ولم يخرق ثيابه ولم يرق ماء الورد على القبر. انتهى. فانظر إلى تكفير ابن عقيل لهم مع إخباره بجهلهم. وقال الشيخ قاسم الحنفي في شرح درر البحار: النذر الذي ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد الآن كأن يكون لإنسان غائب أو مريض أو له حاجة ضرورية فيأتي إلى قبر بعض الصلحاء ويجعل على رأسه سترة ويقول: ياسيدي فلان إن رد الله غائبي أو عوفي مريضي أو قضيت حاجتي فلك من الذهب كذا أو من الفضة كذا أو من الطعام كذا أو من الماء كذا أو من الشمع كذا، فهذا باطل بالإجماع لوجوه: منها أنه نذر للمخلوق والنذر للمخلوق لايجوز لأنه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق. ومنها أن المنذور له ميت والميت لايملك. ومنها أنه ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله. واعتقاد ذلك كفر. إلى أن قال: إذا علمت ذلك فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها وينقل إلى ضرائح الأولياء تقرباً إليهم فحرام بإجماع المسلمين.

وقال النووي في شرح مسلم على قول النبي ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله»: المراد به أن يذبح بغير اسم الله كمن يذبح للصنم أو للصليب أو لموسى أو لعيسى أو للكعبة ونحو ذلك، وكل هذا حرام، ولا تحل هذه

الذبيحة، وسواء كان الذابح مسلماً أو نصرانياً، إلى أن قال: فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله والعبادة له كان كفراً، فإن كان الذابح مسلماً صار بالذبح مرتداً. انتهى.

وقال الشيخ صنع الله الحنفي في الرد على من أجاز النذر والذبح للأولياء وأثبت الأجر في ذلك: فهذا الذبح والنذر إن كان على اسم فلان وفلان لغير الله فيكون باطلاً. وفي التنزيل ﴿**لا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه. قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له**﴾ أي صلاتي وذبحي لله كما فسر به قوله تعالى ﴿**فصل لربك وانحر**﴾ قال: والنذر لغير الله إشراك مع الله. إلى أن قال: والنذر لغير الله كالذبح لغيره وقال الفقهاء: خمسة لغير الله شرك: الركوع، والسجود، والنذر، والذبح، واليمين. قال: والحاصل أن النذر لغير الله فجور، فمن أين تحصل لهم الأجور.

وقال ابن النحاس في كتاب الكبائر: ومنها إيقادهم السرج عند الأحجار والأشجار والعيون والآبار ويقولون إنها تقبل النذر، وهذه كلها بدع ومنكرات قبيحة تجب إزالتها ومحو أثرها. فإن أكثر الجهال يعتقدون أنها تنفع وتضر وتجلب وتدفع وتشفي المرضى وترد الغائب إذا نذر

لها. وهذا شرك ومحادة لله ورسوله.

وقال أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل الشافعي المعروف بأبي شامة في كتاب (البدع والحوادث): ومن هذا القسم أيضاً ما قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد وسرج مواضع مخصوصة يحكي لهم حاك أنه رأى في منامه بها أحداً ممن شهر بالصلاح والولاية، فيفعلون ذلك ويحافظون عليه مع تضييعهم فرائض الله وسننه ويظنون أنهم متقربون بذلك، ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم ويرجون الشفاعة لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لهم، وهي من بين عيون وشجر وحائط. وفي مدينة دمشق - صانها الله - من ذلك مواضع متعددة كعوينة الحمى خارج باب توما، والعمود المخلق داخل باب الصغير، والشجرة الملعونة اليابسة خارج باب النصر في نفس قارعة الطريق سهل الله قطعها واجتثاثها من أصلها، فما أشبهها بذات أنواط الواردة في الحديث. وذكر الحديث ثم قال قال أبو بكر الطرطوشي: فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون البرء والشفاء من قبلها ويضربون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها. ثم قال: ولقد أعجبني ما صنعه الشيخ أبو إسحاق الجبيناني رحمه الله أحد الصالحين ببلاد إفريقية

في المائة الرابعة حكى عنه صاحبه الصالح أبو عبدالله محمد بن أبي العباس المؤدب أنه كان إلى جانبه عين تسمى عين العافية كان العامة قد افتتنوا بها يأتونها من الآفاق، من تعذر عليها نكاح أو ولد قالت امضوا بي إلى العافية فتعرف بها الفتنة. قال أبو عبدالله: فأنا في السحر ذات ليلة إذ سمعت أذان أبي إسحاق نحوها، فخرجت فوجدته قد هدمها وأذن الصبح عليها ثم قال: اللهم إني هدمتها لك، فلا ترفع لها رأساً. فما رفع لها رأس إلى الآن انتهى. وكان الإمام أبو محمد بن أبي يزيد يعظم شأن أبي إسحاق هذا ويقول: طريقة أبي إسحاق خالية لا يسلكها أحد في الوقت.

وقال الشيخ صنع الله الحنفي في كتابه الذي ألفه في الرد على من ادعى أن للأولياء تصرفاً في الحياة وبعد الممات على سبيل الكرامة: هذا وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون أن للأولياء تصرفاً في حياتهم وبعد الممات، ويستغاث بهم في الشدائد والبليات، وبهم تكشف المهمات، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات، مستدلين على أن ذلك منهم كرامات، وقالوا: منهم أبدال ونقباء وأوتاد ونجباء وسبعون وسبعة وأربعون وأربعة والقطب هو الغوث للناس وعليه المدار بلا التباس، وجوزوا لهم الذبائح والنذور وأثبتوا لهم فيهما

الأجور. قال: وهذا كلام فيه تفريط وإفراط، بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي، لما فيه من روائح الشرك المحقق ومضادة الكتاب العزيز المصدق، ومخالف لعقائد الأئمة وما اجتمعت عليه الأمة. وفي التنزيل **﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾** إلى أن قال: الفصل الأول فيما انتحلوه من الإفك الوخيم والشرك العظيم، إلى أن قال: فأما قولهم إن للأولياء تصرفاً في حياتهم وبعد الممات فيرده قول الله تعالى **﴿أإله مع الله؟ - ألا له الخلق والأمر - لله ملك السموات والأرض﴾** ونحو ذلك من الآيات الدالة على أنه المنفرد بالخلق والتدبير والتصرف والتقدير، ولا شيء لغيره في شيء ما بوجه من الوجوه، والكل تحت ملكه وقهره تصرفاً وملكاً وإحياء وإماتة وخلقاً، وتمدح الرب سبحانه بإنفراد في ملكه بآيات من كتابه كقوله تعالى: **﴿هل من خالق غير الله؟ والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾** وذكر آيات في هذا المعنى ثم قال: فقوله في الآيات كلها من دونه من غيره فإنه عام يدخل فيه من اعتقدته من ولي وشيطان تستمده، فإن من لم يقدر على نصر نفسه كيف يمد غيره؟ إلى أن قال: فكيف يتصور

لغيره من ممكن أن يتصرف؟ إن هذا من السفاهة لقول وخيم وشرك عظيم.

إلى أن قال: وأما القول بالتصرف بعد الممات فهو أشنع وأبدع من القول بالتصرف في الحياة، قال جل ذكره ﴿**إنك ميت وإنهم ميتون - الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت - كل نفس ذائقة الموت - كل نفس بما كسبت رهينة**﴾ وفي الحديث. «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث» الحديث. فجميع ذلك وما هو نحوه دال على انقطاع الحس والحركة من الميت، وأن أرواحهم ممسكة، وأن أعمالهم منقطعة عن زيادة أو نقصان فدل ذلك أنه ليس للميت تصرف في ذاته فضلا عن غيره بحركة، وأن روحه محبوسة مرهونة بعملها من خير أو شر، فإذا عجز عن حركته لنفسه فكيف يتصرف لغيره؟ فالله سبحانه يخبر أن الأرواح عنده، وهؤلاء الملحدون يقولون إن الأرواح مطلقة متصرفة، قل أأنتم أعلم أم الله؟ قال: وأما اعتقادهم أن هذه التصرفات لهم من الكرامات فهو من المغالطة، لأن الكرامة شيء من عند الله يكرم بها أولياءه، لا قصد لهم فيه ولا تحد ولا قدرة ولا علم، كما في قصة مريم بنت عمران وأسيد بن حضير وأبي مسلم الخولاني.

قال: وأما قولهم «ويستغاث بهم في الشدائد» فهذا أقبح مما قبله وأبدع، لمضادة قوله تعالى ﴿**أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإلـه مع الله؟ قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين**﴾ وذكر آيات في هذا المعنى، ثم قال: فإنه جل ذكره كرر أنه الكاشف للضر لا غيره، وأنه المتعين لكشف الشدائد والكرب، وأنه المنفرد بإجابة المضطرين، وأنه المستغاث لذلك كله، وأنه القادر على دفع الضر وعلى إيصال الخير، فهو المنفرد بذلك فإذا تعين جل ذكره خرج عن غيره من ملك ونبي وولي، قال: والاستغاثة تجوز في الأسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسية في قتال أو إدراك عدو أو سبع ونحوه كقولهم: يا لزيد، يا لقومي، يا للمسلمين. كما ذكروا ذلك في كتب النحو بحسب الأسباب الظاهرة بالفعل. وأما الاستغاثة بالقوة والتأثير في الأمور المعنوية من الشدائد كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه فمن خصائص الله، فلا يطلب فيها غيره. قال: وأما كونهم معتقدين التأثير منهم في قضاء حاجاتهم كما تفعله جاهلية العرب والصوفية والجهال وينادونهم ويستنجدون بهم فهذا من المنكرات. إلى أن قال: فمن اعتقد أن لغير الله من نبي

أو ولي أو روح أو غير ذلك في كشف كربة أو قضاء حاجة تأثيراً فقد وقع في وادي جهل خطير، فهو على شفا حفرة من السعير. وأما كونهم مستدلين على أن ذلك منهم كرامات فحاشا أولياء الله أن يكونوا بهذه المثابة فهذا ظن أهل الأوثان كذا أخبر الرحمن ﴿**هم شفعاؤنا عند الله - ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى - أأتخذ من دون الله آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغنى عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون**﴾ فإن ذكر ماليس من شأنه النفع ولا دفع الضر من نبي وولي وغيره على وجه الإمداد منه أشرك مع الله، إذ لا قادر على النفع غيره، ولا خير إلا خيره. وأما ما قالوه إن فيهم أبدال أو نقباء وأوتادا ونجباء وسبعين وسبعة وأربعين وأربعة والقطب هو الغوث للناس، فهذا من موضوعات إفكهم كما ذكره القاضي المحدث ابن العربي في (سراج المريدين) وابن الجوزي وابن تيمية انتهى باختصار، وكلام العلماء في ذلك كثير، واكتفينا بما ذكرنا.

فصـــــل

وتقـدم في كلام الشيخ الإشارة إلى أنه لولا أنه يخشى من الفتنة بالقبور لما نهى عن الصلاة عندها وغير ذلـك، وتـأكـدت الفتنة بقضاء بعض حوائج قاصديها والمشركين بها، وذكر الشيخ رحمه الله من ذلك أشياء كثيرة ذكرها في (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطـان) وغـيره من كتبه قال: والشيطان يضل بني آدم بحسب قدرته، فمن عبد الشمس والقمر والكواكب ودعاها كما يفعـل أهـل دعوى الكواكب فإنه ينزل عليه شيطـان ويخـاطبه ويحدثه ببعض الأمور يسمون ذلك روحانيـات الكـواكب، وهـو شيطان. وكـذلـك عبـاد الأصنام قد تخاطبهم الشياطـين. وكـذلـك من استغـاث بميت أو غائب، وكـذلك من دعا الميت أو دعا عنده وظن أن الدعاء عند قبره أفضل من البيوت والمساجد. وللنصارى والضلال من المسلمين أحوال عند المشاهد يظنونها كرامات وهي من الشيطان، مثل أن يضعوا سراويل عند القبر فيجـدونه قد عقد، أو يوضع عنده مصروع فيبصرون

شيطانه قد فارقه، فيفعل هذا الشيطان ليضلهم، ومثل أن يرى أحدهم أن القبر قد انشق فيخرج منه إنسان فيظنه الميت. ومن هؤلاء من يستعين بمخلوق حي أو ميت سواء كان ذلك الحي مسلماً أو نصرانياً أو مشركاً فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به ويقضي بعض حاجة ذلك المستغيث، فيظن أنه ذلك الشخص أو أنه ملك على صورته، وإنما هو شيطان أضله لما أشرك بالله كما كانت الشياطين تدخل الأصنام وتكلم المشركين. ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان ويقول له: أنا الخضر، وربما أخبره ببعض الأمور وأعانه على بعض مطالبه. ومنهم من يطير به الجنى إلى مكة، أو بيت المقدس أو غيرهما. ومنهم من يحمله عشية عرفة ثم يعيده من ليلته. ومنهم من كان يؤتى بمال مسروق تسرقه الشياطين وتأتيه به. ومنهم من كانت تدله على السرقات. قال رحمه الله: حتى إني أعرف من هؤلاء جماعات يأتون إلى الشيخ نفسه الذي استغاثوا به وقد رأوه أتاهم في الهواء فيذكرون ذلك، وهؤلاء يأتون إلى هذا الشيخ فتارة يكون الشيخ نفسه لم يعلم بتلك القضية، فإن كان يحب الرياسة سكت وأوهمهم أنه نفسه أتاهم وأعانهم، وإن كان فيه صدق مع جهل وضلال قال: هذا ملك صوره الله على صورتي، وجعل هذا من كرامات الصالحين، وجعله عمدة لمن

يستغيث بالصالحين ويتخذهم أرباباً وأنهم إذا استغاثوا بهم بعث الله ملائكته على صورهم تغيث المستغيثين بهم. ولهذا أعرف غير واحد منهم ممن فيه صدق وزهد وعبادة لما ظنوا أن هذا من كرامات الصالحين صار أحدهم يوصي مريديه يقول: إذا كانت لأحدكم حاجة فليستغث بي ولسنتجدني ويقول أنا أفعل بعد موتي ماكنت أفعل في حياتي، وهو لايعرف أن تلك شياطين تتصور على صورته لتضله وتضل أتباعه، فيحسن لهم الإشراك بالله ودعاء غير الله والاستعانة بغير الله وأنها قد تلقي في قلبه أنا نفعل بأصحابك بعد موتك ما كنا نفعل بهم في حياتك، فيظن هذا من خطب إلهي ألقي إليه فيأمر أصحابه بذلك. وذكر أشياء كثيرة من هذا الجنس وأعظم منه. والمقصود أن الإنسان إذا سمع بوقوع مثل ذلك لايستبعده ولا يستغربه إذا عرف أن مثل هذه الأمور تقع لعباد الأصنام والقبور والأمر كله لله ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

فصـــل

يتعين على من نصح نفسه وعلم أنه مسئول عما قال ومحاسب على اعتقاده وقوله وفعله أن يعد لذلك جواباً، ويخلع ثوبي الجهل والتعصب ويخلص القصد في طلب الحق، قال الله تعالى: ﴿**قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا**﴾، وليعلم أنه لايخلصه إلا اتباع كتاب الله وسنة نبيه، قال الله تعالى: ﴿**اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاما تذكرون**﴾ وقال تعالى: ﴿**كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب**﴾ ولما كان قد سبق في علم الله وقضائه أنه سيقع الاختلاف بين الأمة أمرهم وأوجب عليهم عند التنازع الرد إلى كتابه وسنة نبيه، قال تعالى: ﴿**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلاً**﴾ قال العلماء رحمهم الله: الرد إلى الله الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول الرد إليه في حياته والرد إلى سنته بعد مماته. ودلت الآية أن من لم يرد عند التنازع إلى

كتاب الله وسنة نبيه فليس بمؤمن لقوله تعالى: **﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾** فهذا شرط ينتفي المشروط بانتفائه ومحال أن يأمر الله الناس بالرد إلى مالا يفصل النزاع، لاسيما في أصول الدين التي لايجوز فيها التقليد عند عامة العلماء، وقال الله تعالى: **﴿فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما﴾**.

ولما أخبر النبي ﷺ بوقوع الاختلاف الكثير بعده بين أمته أمرهم عند وجود الاختلاف بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده فقال ﷺ: «إن من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور كل بدعة ضلالة» ولم يأمرنا الله ولا رسوله بالرد عند التنازع والاختلاف إلى ما عليه أكثر الناس، ولم يقل الله ولا رسوله لينظر أهل كل زمان إلى ما عليه أكثر أهل زمانهم فيتبعونهم، ولا إلى أهل مصر معين، وإنما الواجب على الناس الرد إلى كتاب الله وسنة نبيه[٤] وسنة الخلفاء الراشدين المهديين وما مضى

---

(٤) قال شمس الدين بن القيم رحمه الله في قوله عز وجل ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾: ←

عليه الصحابة والتابعون وأئمة المسلمين، ولا يعبأ بكثرة المخالفين بعدهم، فإذا علم الله من العبد الصدق في طلب الحق وترك التعصب ورغب إلى الله في سؤاله هداية الصراط المستقيم فهو جدير بالتوفيق، فإن على الحق نوراً، لاسيما التوحيد الذي هو أصل الأصول التي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم وهو توحيد الألوهية فإن أدلته وبراهينه في القرآن ظاهرة، وعامة القرآن إنما هو في تقرير هذا الأصل العظيم. ولا يستوحش الإنسان لقلة الموافقين وكثرة المخالفين فإن أهل الحق أقل الناس فيما

← فدل هذا على أنه إذا ثبت لله ولرسوله في كل مسألة من المسائل حكم طلبي أو خبري فإنه ليس لأحد أن يتخير لنفسه غير ذلك الحكم فيذهب إليه، وإن ذلك ليس أصلاً، فدل على أن ذلك مناف للإيمان. وقد حكى الشافعي رحمه الله إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ ليس له أن يدعها لقول أحد ولا يستريب أحد من أئمة الإسلام في صحة ما قال الشافعي رحمه الله. فإن الحجة الواجب على الخلق اتباعها كافة إنما هو قول المعصوم الذي لاينطق عن الهوى، وأما أقوال غيره فغايتها أن تكون سائغة الاتباع لا واجبة الاتباع فضلا عن أن تعارض بعضها النصوص وتقدم عليها، عياذاً بالله من الخذلان. وقال في موضع آخر: حذار حذار من أمرين لهما عواقب سوء: أحدهما رد الحق لمخالفته هواك فإنك تعاقب بتقلب القلب، ورد ما يرد عليك من الحق رأسا لا تقبله إلا إذا ترقى في قلب هواك. قال تعالى: ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة، ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ أهـ. هامش الأصل.

مضى، وهم أقل الناس فيما بقي، لاسيما في هذه الأزمنة المتأخرة التي قد صار الإسلام فيها غريبا، والحق لايعرف بالرجال كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لمن قال: أترى أنا نرى الزبير وطلحة مخطئين وأنت المصيب؟ فقال له عليّ: ويحك يافلان إن الحق لايعرف بالرجال اعرف الحق تعرف أهله. وأيضا فالحق ضالة المؤمن، وليحذر العاقل من مشابهة الذين قال الله عنهم **﴿لو كان خيراً ما سبقونا إليه أهؤلاء من الله عليهم من بيننا﴾** وقد قال بعض السلف: ما ترك أحد حقاً إلا لكبر في نفسه. ومصداق ذلك قول النبي ﷺ حين قال «لايدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر» ثم فسر الكبر بأنه بطر الحق أي رده، وغمط الناس وهو احتقارهم وازدراؤهم ولقد أحسن القائل:

وتعر من ثوبين من يلبسهما
يلقى الردى بمذمة وهوان
ثوب من الجهل المركب فوقه
ثوب التعصب بئسما الثوبان
وتحل بالانصاف أفخر حلة
زينت بها الأعطاف والكتفان
واجعل شعارك خشية الرحمن مع
نصح الرسول فحبذا الأمران

وقال ابن القيم رحمه الله أيضاً: وما أحسن ما قال الحافظ أبو محمد عبدالرحمن المعروف بأبي شامة في كتاب (الحوادث والبدع): حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد لزوم الحق واتباعه وإن كان المتمسك به قليلاً والمخالف له كثيراً لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه، ولا تنظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم، قال عمرو بن ميمون الأودي: صحبت معاذاً فلما فارقته حتى واريته في التراب بالشام، ثم صحبت بعده أفقه الناس عبدالله بن مسعود فسمعته يقول: عليكم بالجماعة، فإن يد الله على الجماعة. ثم سمعته يوماً من الأيام وهو يقول: سيلى عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها فصلوا لميقاتها فهي الفريضة، وصلوا معهم فإنها لكم نافلة. قال: قلت يا أصحاب محمد ما أدري ما تحدثون. قال وماذا؟ قلت: تأمرني بالجماعة وتحضني عليها ثم تقول صل الصلاة وحدك وهي الفريضة وصل مع الجماعة وهي النافلة. قال: ياعمرو بن ميمون قد كنت أظن أنك من أفقه أهل هذه القرية، أتدري ما الجماعة؟ قلت لا، قال: إن جمهور الناس قد فارقوا الجماعة، الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك. وفي طريق أخرى فضرب على فخذي وقال: ويحك، إن جمهور الناس قد فارقوا الجماعة وإن الجماعة ما وافق طاعة الله عز وجل. قال نعيم

عن حماد: يعني إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن يفسدوا، وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذ. ذكره البيهقي وغيره. وروى مبارك بن فضـالـة عن الحسن البصري قال: لو أن رجلاً أدرك السلف الأول ثم بعث اليوم ما عرف من الإسلام شيئا. قال ووضع يده على خده ثم قال: إلا هذه الصلاة. ثم قال: أما والله لمن عاش في هذه النكراء ولم يدرك هذا السلف الصـالح فرأى مبتـدعاً يدعو إلى بدعته ورأى صاحب دنيا يدعو إلى دنياه فعصمه الله من ذلك وجعل قلبه يحن إلى ذلك السلف الصالح يسأل عن سبيلهم ويقتص آثـارهم ويتبع سبيلهم ليعـوض أجـراً عظيماً، فكذلك كونوا إن شاء الله.

وروى محمد بن وضاح عن أبي الطفيل أن حذيفة ابن اليمان أخذ حصاة بيضاء فوضعها في كفه ثم قال: إن هذا الدين قد استضاء إضاءة هذه الحصاة. ثم أخذ كفا من تراب فجعل يذره على الحصاة حتى وارها ثم قال: والذي نفسي بيده ليجئن أقوام يدفنون هذا الدين كما دفنت هذه الحصاة. ولتسلكن طريق الذين كانوا قبلكم حذو القذة بالقذة وحذو النعل بالنعل.

وقال محمد بن وضاح رحمه الله: الخير بعد الأنبياء

ينقص والشر يزيد. قال ابن وضاح إنما هلكت بنو إسرائيل على أيدي قرائهم وفقهائهم.

وروى ابن وضاح عن عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن حسان بن أبي جبلة عن أبي الدرداء قال: لو خرج رسول الله ﷺ إليكم ما عرف شيئا مما كان عليه هو وأصحابه إلا الصلاة. قال الأوزاعي: فكيف لو كان اليوم. قال عيسى بن يونس: فكيف لو أدرك الأوزاعي هذا الزمان.

وروى ابن وضاح عن الأوزاعي قال: قال لي شقيق أبو وائل: ياسليمان ما شبهت قراء زمانك إلا بغنم رعت حمضا فمن رآها ظن أنها سمينة وإذا ذبحها لم يجد فيها شاة سمينة.

وروى ابن وضاح عن أبي الدرداء قال: لو أن رجلاً تعلم الإسلام وأتمه ثم تفقده ما عرف منه شيئا.

وروى ابن وضاح عن عبدالله بن المبارك قال: اعلم أي أخي أن الموت كرامة لكل مسلم لقي الله على السنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فإلى الله نشكو وحشتنا، وذهاب الإخوان وقلة الأعوان، وظهور البدع، وإلى الله نشكو عظيم ما حل بهذه الأمة من ذهاب العلماء، وأهل السنة، وظهور البدع. انتهى.

طبع هذا الكتاب
على مخطوطة كتبها (محمد بن عبدالعزيز بن محمد)
وفرغ منها قبيل العصر من يوم السبت ٢٤ من ذي الحجة
آخر سنة ١٣٠٥ والحمد لله رب العالمين

طبع في مطابع دار السياسة ـ الكويت.